قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

اعـــــتـــــذاران

لعلّ أفضل ما حملته قمة بغداد من وقائع تمثّل في الاعتراف بالأخطاء والاعتذار عنها، وهو أتى من سياسيين عربيين بارزين: رئيس وزرائنا نوري المالكي والرئيس التّونسيّ المنصف المرزوقي.

المرزوقي اعترف بمساهمة بعض أبناء شعبه بتعميق الجرح العراقيّ، واعتذر بشجاعة نادرة لا يملكها مواطنون عرب عادة. فضلاً عن سياسييهم. عما فعله تونسيون إرهابيون في العراق بعد التغيير.

من شأن اعتراف الرئيس التونسيّ واعتذاره أن يكونا لفتة نادرة وجريئة قد تفتح الباب لاعتذارات من قادة عرب آخرين، أظنها ستأتي عاجلاً أو آجلاً، ولم يكن الأمر مستغرباً من هذا الرجل الذي دفع ثمناً كبيراً لمواقفه المناهضة لنظام صدام أيام أجبر ضغطُ الشارع والإعلام التونسيّ عائلة المرزوقي على التبرؤ من ابنها!

نوري المالكي اعترف بخطأه هو الآخر واعتذر، اعترف بأن القوات التي كانت بإمرته نغّصتْ حياتنا وسوّدتْ أيامنا وحوّلت بغداد إلى مدينة أشباح، اعتذر للبغداديين عما فعلته فيهم أجهزة الأمن، وهي لفتة محمودة أيضاً وتحسب له، لكن ليس أمامنا هنا إلا أن نلحظ فارقاً بيّناً بين اعتذاري الرجلين، ففي حين قدّم المرزوقي اعتذاره الذي يُفهم منه ان تونس. في قيادتها الحالية المنتخبة. لن تضمر سوءاً للعراق بعد اليوم ولن تكرّر ما يوجب الاعتذار مرة أخرى، نعرف ويعرف دولة رئيس وزرائنا الموقّر أن اعتذاره لن يمنع أجهزته من سجن العراقيين والتضييق عليهم في قابل الليالي والأيام وعند أول مناسبة يريد لها أن تنجح، فهو. على ما يبدو. لا يملك وأجهزته بديلاً عن قتل الحياة في الشارع لتحقيق الأمن.

دائماً نلجأ إلى الخطة العبقرية التالية: نمنع الناس من الخروج ونقطع شبكة الهواتف ونقطع الانترنت ونحاصر الأحياء بالصبات الكونكريتية ثم نحتفل لأن حدثاً جسيماً لم يقع. وكيف يقع حدث إرهابيّ في شوارع شبحية ليس فيها سوى الجيش والشرطة واللافتات المرحّبة بالقادة العرب؟

اعتذاران تتلمّس في أحدهما شرطاً من شروط التوبة "وهو الندم وإضمار عدم العودة للذنب"، بينما لا ترى في الثاني سوى فضّ عتبٍ لأنّ المعتذر لا يملك إلا أن يذنب ثانية وثالثة ورابعة.

جميل أن تشيع ثقافة الاعتراف والاعتذار، ربما العرب هم أحوج الناس طراً لتعلّم هذه الثقافة، وليس أفضل من قادتهم الأفذاذ ليعلموا مواطنيهم إياها وليكونوا قدوة لهم، وكم سيكون ناجحاً أن تحمل القمة المقبلة "التي ستعقد في الدوحة" عنوان "قمة الاعتراف والاعتذار" وتكون مخصصة لاعتراف الرؤساء والملوك والأمراء بما اقترفوه بحقّ شعبهم والشعوب الأخرى، وأن يقدموا اعتذارهم لمن وقع عليه الظلم.

نجاح قمة كهذه سيكون مضموناً دون أن يضطرّ القائمون عليها لصرف مليار وربع المليار دولار، ودون أن يضطروا لتعطيل الحياة في بلدانهم وأن ينشروا جيشاً كاملاً في شوارع تصبح ملكاً للعسكر.

بعد أن اختتمت قمّة بغداد أعمالها

قمـــــــــة مـــن دون هـــمّـــــة!

الآن وبعد أن اختتمت القمة العربية الثانية والعشرون أعمالها في بغداد، فإن الأسئلة التي ظلت تشغل وسائل الإعلام وما زالت تدور في ذهنية المواطنين تتمحور حول أبرز ما ميز هذه القمة عن سواها ، وكيف يمكن أن تسهم هذه القمة في خدمة القضايا العربية ومن ضمنها العراق ، وهل يمكن فعلاً أن تستجيب القمة وتتفاعل لتأثيرات ما سمي بالربيع العربي؟

طارق الجبوري

ابتداءً لابد من الاعتراف بأن من المبكر الحكم على نجاح هذه القمة مسبقاً، حيث انه لم تمض غير بضعة أيام على انتهائها وتسلم العراق مسؤولية ما اصطلح عليه قيادة العمل العربي المشترك و متابعة ما صدر من قرارات تضمنها إعلان بغداد ببنوده الـ ٤٨ التي نوقشت، لذا فإن الفترة الممتدة بين هذه القمة والأخرى التي ستتبعها والتي تقررعقدها في قطر بعد أن اعتذرت سلطنة عمان عن تضييفها ستكون الحكم على جدية الدول العربية بتنفيذ المقررات التي اتفقت عليها في القمة والتي اعتدنا على أن تتناساها هذه الدول قبل أن يجف الحبر الذي كتبت فيه ! ومع ذلك يمكن تحديد إجابات هذه التساؤلات استناداً إلى واقع القمم السابقة وإلى الأوضاع السياسية للمحيط العربي الذي عصفت رياح الربيع الجميلة ببعض أنظمته .

ونحن مع تقديرنا لكل الآراء التي ربطت القمة بما أسمته عودة العراق إلى حاضنته العربية وكأنه انقطع عنها، نقول إن القمم وما يتمخض عنها انعكاس لواقع سياسي تعيشه مجتمعاتنا العربية، لذا فإن عودة العراق بقوة إلى محيطه تتطلب إرادة سياسية وقناعة الأنظمة العربية التي ما زال بعضها لديه العديد من الريبة والشك في النظام العراقي السياسي الجديد وعلاقاته الإقليمية ،وبالأخص مع إيران، التي قامت إثناء القمة باستخراج النفط من الحقول التي تدعي أنها مشتركة مع الجانب العراقي دون استكمال مشاوراتها مع العراق، وكأنها أرادت أن توجه رسالة غير مباشرة للمؤتمرين بقصد أو من دونه أنّ يدها ما زالت هي الطولى شاءت أميركا أم أبت ! بالمقابل فإن حديث رئيس وزراء قطر مع قناة الجزيرة الذي تزامن مع القمة ومضامينه فيها أكثر من إشارة إلى المعنى الحقيقي لتمثيلها المتواضع نسبياً وهي التي كانت حريصة إلى وقت قريب على حضور اجتماعات جلسات الجامعة بأعلى المستويات إذا توافقت ودورها المرسوم والمخطط له ،وقد يكون دورها في التغيير الذي حصل في ليبيا ليس بعيداً حتى أن أحد المعارضين الليبيين إبان قصف الناتو بلده جواً وبراً وبحراً أطلق على أمير قطر " أبو الثوار " وهو ما يبدو يرضي مشاعر الأمير ونظامه الذي كانت الجماهير تصفه وما شابهه من أنظمة بالرجعية وغيرها من المصطلحات والنعوت التي سادت مشهد العمل السياسي العربي لعهود طويلة .

بصراحة ليس هنالك من مجال للادعاء بتميز هذه القمة عما سبقها ،اللهم إلا بمستوى الإنفاق الهائل والصرف المالي الذي أثار تساؤلات ملايين العراقيين ودعا ببعض أعضاء مجلس النواب إلى التحقيق فيها . ومع ذلك لا يمكن إغفال توجه أنظار العالم دولياً وإقليميا وعربياً نحو بغداد ،وهو ما يعده البعض منجزاً عظيماً للعراقيين، لكننا وبتواضع لا ندري كيف وبأية صورة !

وبعيداً عن مستوى التمثيل الضعيف لبعض الدول المشاركة الذي لم تقتصر عليه هذه القمة فحسب، فإن التحدي الأمني كان هو الأكبر أمام السلطة التنفيذية وهو ما فرض عليها اتخاذ إجراءات مشددة حالت دون استغلال حضور هذه العدد من ممثلي الدول ووسائل الإعلام لإعطاء صورة جميلة عن العراق، وإذا أضفنا إلى كل ذلك واقع الخلافات السياسية لأدركنا مدى الانطباع الذي يمكن أن يتشكل .

لا يمكن الادعاء بتميّز هذه القمة عما سبقها، اللهم إلا بمستوى الإنفاق الهائل والصرف المالي الذي أثار تساؤلات ملايين العراقيين ودعا ببعض أعضاء مجلس النواب إلى التحقيق فيها. ومع ذلك لا يمكن إغفال توجّه أنظار العالم دولياً وإقليميا وعربياً نحو بغداد.

امام العراق مسؤولية كبرى في قيادة العمل العربي

أما في ما يتعلق بالسؤال الآخر فيكفي أن نعود بالذاكرة إلى كل ما أسفرت عنه القمم العربية في تاريخها الطويل منذ أول قمة عقدت عام ١٩٦٤، بل وأكثر من ذلك منذ تأسيس الجامعة العربية عام ١٩٤٥ .ولعل إشارة المسؤول المصري المعروف أمين هويدي إلى أن الجامعة العربية تضم أكبر أرشيف لقرارات لم يتم تنفيذها في القمم خير دليل على مستوى العجز الذي تعانيه منظومتنا العربية وما سببته من إحباط لدى المواطن العربي، سواء ما يتعلق منها بفلسطين أو التعاون المشترك . فمن المثير للسخرية انه رغم شعارات التضامن العربي ووحدة المصير والوحدة وغيرها فإن حرية تنقل المواطن العربي ما زالت حتى الآن تخضع لقوانين صعبة، في حين أن الاتحاد الأوروبي ترجم إيمانه بأهمية قراره بتشكيل الاتحاد منذ السنوات الأولى لإنشائه بقرار مكّن المواطن الأوروبي من التنقل بحرية في أية دولة من الدول المنضوية للاتحاد دون الحاجة إلى إجراءات " الفيزا " وغيرها من القيود .

ومن الإنصاف القول إن مراجعة لما جاءت به القمة من قرارات تدلل على تأثير بهذا الشكل أو ذاك بما حصل في بعض الدول العربية من متغيرات عبرت عنها كلمات بعض رؤساء الوفود، وسعي ما تبقى منها إلى محاولة مجاراة ما يحدث وتجنيب أنظمتها هزات محتملة ، غير أن هذا لا يدعنا نغرق في التفاؤل " بشأن عد البعض القمة فرصة للقاء أنظمة ما بعد الربيع العربي " إن صح التعبير قافزاً على حقيقة عدم تبلور صيغة ديمقراطية واضحة حتى الآن في هذه الأنظمة، حيث أن أمامها تحديات كبيرة لتثبت للمواطن وليس غيره أنها فعلاً جديرة بتضحياته لتصلح أن تكون أنموذجاً لبقية الدول الأخرى .

وفي كل الأحوال نكرر أننا لا نريد أن نستبق الاحداث أو أن نبدو متشائمين غير أن أمام العراق وهو يقود مسيرة العمل العربي المشترك مسؤولية كبيرة لتأكيد جدارته، وهذا يتطلب أولاً إصلاح بيتنا الداخلي قبل كل شيء، لنتمكن بعدها من الانطلاق بخطوات راسخة نحو عمل جدي لحث الدول على تنفيذ بعض ما جاء من مقررات في القمة تنشل مواطني هذه الدول بما فيها العراق، إذا ما طبقت فعلاً، من الكثير من مشاكله سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وهي مهمة صعبة في ظل أنظمة ما زال طريقها الديمقراطي تسوده الضبابية وعدم الوضوح . وهل يمكن حقاً ترجمة المقررات إلى أفعال؟ ونجد من المناسب هنا الإشارة إلى ما قاله عضو المجلس الوطني السوري في معرض إجابته على تأثير اجتماع القمة في تحقيق مطالب الشعب السوري فقال " نحتاج إلى همة عربية أكثر من حاجتنا إلى قمة

قـــــف.. أنـــــت في قـــمّـــة

قيس قاسم العجرش

كي نشبع نهم الذات الحكومية المتضخمة،مستعدون أن نحلف بأغلظ الأيمان وكل شبابيك موالي اللّه أنٍ القمة العربية كانت نجاحاً لسياسة العراق وقادته وحكومته وكتله السياسية وجهازه التنفيذي وعلى رأسها الأستاذ دولة رئيس الوزراء نوري كامل المالكي ومعه طاقمه الحكومي الذي عمل وحضّر وناقش وهيأ وأقنع وفعل وشغل من أجل عقد القمة (الانعقاد المجرد أيضاً نعده نجاحاً).

كما أن المقررات التي عرضت هي الأخرى (ناجحة)وستنبئ بحل عربي لأهم الأزمات العربي الراهنة.

كما أن النجاح الأمني غير المسبوق قد بدد الشكوك حول قدرات قواتنا الأمنية أن تتسلم مهام الأمن وأن (تضبط)العراق كله وليس بغداد فقط ..نلاحظ هنا أن الإرهاب لم يتمكن من تنفيذ هجمات نوعية في المحافظات أيضاً...

كما أن مستوى التمثيل الذي راهن على ضآلته الحاقدون قد تحقق في حده المعقول.

هل اكتفينا هنا من الطلليات التي أعتدنا أن نزقها للأذن قبل أن تتقبل الانتقاد؟

أم يا ترى نحتاج إلى المزيد من الحلفان والأيمان كي يصدق الآخرون مقاصدنا حين ننتقد؟!

القمة كشفت سؤالاً أكبر منها وأكثر أهمية من انعقادها ووجودها بالأصل ...أهم من عضوية العراق في الجامعة العربية وأهم من العزلة التي كانت تشعر مسؤولينا بالمرارة فيما يتظاهرون باللامبالاة.

هذا السؤال مجرد وبسيط ..إلى أين تسير بنا هذه الذات الحكومية التي لا تعرف حداً للكبر أو وقفة لمراجعة الذات؟

من قال لكم أن بإمكانكم أن تعتقلوا مدينة بأسرها من أجل مصلحة وطنية"عليا" أجهدتم أنفسكم على مر ثماني سنوات تقنعوننا بأن العراق غير عابئ بها مع العرب؟

من قال لكم أن لكم متى ما شئتم أو ارتأيتم أن تفعلوا بالناس ما يحلو لكم وتكذبوا على مسامعهم كيفما أردتم؟

من قال لكم بأن حقوق الإنسان يتم تفصيلها في قاعة قيادة عمليات بغداد أو يمنّ بها علي الدباغ وغيره من مسؤولي الصدفة وهم يعكسون الحقائق وينفون (بأغلظ الأيمان) فرض حظر للتجوال.

كل ما قلتموه أو (أوحيتم به)صحيح عن خطة الدفاع السياسي بالهجوم على الأزمات العربية وسحب البساط والمبادرة من القوى العربية التقليدية (السعودية مادياً ومصر تراثياً) لصالح تعزيز هيمنة العراق وتخويف الآخرين كي يرعووا عن أذى الشعب العراقي المسكين.

لكن على حساب من ؟ وكيف كانت الكيفية ؟

في ليبيا خرج الثوار لاقتلاع القذافي وانتشى البعض منهم إلى أبعد من ذلك بكثير واليوم هذا البعض تحت نشوة البطولة يقايض الحكومة هناك على تسليم سيف الإسلام القذافي للعدالة مقابل مبلغ من المال!.

هل ستقايضوننا أنتم كذلك على أمننا ؟

هل سيكون الأمن ثمنه معسكر الاعتقال الكبير الذي رميتم به أهالي بغداد على مدى أسبوعين ؟

ما تفعلونه هو أنكم بهذه الهستيريا من العسكريتاريا ،تحولون جندي الجيش إلى جندي للسلطة وحدها وشرطي السيطرة إلى شرطي للسلطة والضابط في القاطع الجغرافي إلى نائب عن ظل الله في الأرض(السلطة التي تظنون).

لنتذكر إن تقارير وزارة التخطيط تقول إن ٣٢٪ من أهالي بغداد هم تحت خط الفقر، ماذا سيفعل من هو تحت خط الفقر حين تحرمونه حتى من (الفقر) لأسبوعين دون أن تكلفوا عناء النفس التهيئة لذلك.

وبعد ذلك فهذا المواطن كان مكرهاً على سماع إعلام حكومي لا يشبه أي شي في الصحافة .

صحا العماد ميشيل عون ليجد أن فضائية "العراقية" قد حسمت جدل السياسة اللبنانية وخلعت الرئيس ميشيل سليمان ونصّبت عون بدلاً منه رئيساً زائراً مشاركاً في قمة بغداد!

ارجعوا إلى تقارير نشرة العراقية الإخبارية يوم القمة تجدوا ذلك موثقاً .ذات الإعلامي الجهبذ جعل اسم وزير خارجية اليمن أبو بكر "القرني" ! بدلاً من القربي...كما وضع صورة مصطفى عبد الجليل بدلاً من صورة المنصف المرزوقي بالرغم من أن نصف أخبار القمة كانت تتحدث عن اعتذار المنصف الشجاع للشعب العراقي عن الأفراد الانتحاريين القادمين من تونس! ثم يسأل المذيع كيف هي الأجواء فيجيب المراسل: الأجواء هنا في بغداد لطيفة وأخوية.

هذا ليس تصيداً لكنه مراجعة لكفاءة من تولى شأن إصلاح الوضع العراقي عبر البوابة العربية أو كفاءة من أدارها إعلامياً وأمنياً.

وبعد، ثمة فاتورة حساب كبيرة سيدفعها الشعب العراقي من رصيد حرياته لحساب الأمن إن استمرت هذه العقلية تتحكم بما تريد أن يظهر وأن يصدر عن العراق تجاه العالم، إن استمرت هذه العقلية الشمولية ادعاء احتكار الحقيقة.

إن كوريا الشمالية وكوبا ورمانيا في عهد تشاوشيسكو وليبيا وتونس وسوريا وحتى سلطنة عمان والبحرين ،كلها بلدان آمنة في عهد حكامها ،لكن الناس تريد حرية مكافئة للأمن ...فهل ستفهم قيادة عمليات بغداد هذا؟

القمة ... هل من دور جديد للعراق ؟

هـــل الـقـمـة طبيعية؟

ساطع راجي

لا يمكن التقليل من قيمة القمة العربية أينما ووقتما عقدت لأنها (وخاصة القمم العادية الدورية) بلا قيمة حقيقية باستثناء بضع قمم تاريخية جلبت الويل والثبور، ومع ذلك كانت قمة بغداد ناجحة بمقاييس الحكومة والوضع العراقي لأن الهدف كان أن تعقد القمة بتمامها أي بلا مقاطعة وهو ما تحقق ،أي أن الهدف كان الشكل وليس المضمون .وفي كل الأحوال لا يتوقع أحد أن يكون هناك مضمون مهم لقمة جرت اعتمادا على تسلسل الحروف الأبجدية للدول المضيفة، ومع ذلك نحتاج إلى توصيف حالة القمة التي عقدت في بغداد والاستفسار فيما إذا كانت قمة طبيعية.

لقد قيل رسميا إن عدد الزعماء الذين سيشاركون في القمة سيصل إلى ١٤ ملكا ورئيسا وهو ما لم يحدث سابقاً ،وهنا نحتاج إلى التساؤل عن الجهات التي مررت هذا الرقم والدول التي نكثت (فيما إذا كانت وعدت أصلا) وأسباب تراجع الزعماء عن الحضور وإذا كان من المتوقع تدني التمثيل السعودي والقطري فلا مبرر أو تفسير لتدني التمثيل الإماراتي والعماني خاصة مع التمثيل الجيد للبحرين (حضر وزير خارجيتها)، فالعلاقات العراقية الإماراتية هي الأفضل على الصعيد العراقي الخليجي ومع ذلك مثلها أنور محمد قرقاش وزير الدولة للشؤون الخارجية رغم أن عبدالله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية الإماراتي زار بغداد كثيرا ،كما كان غياب العاهل الأردني لافتا ،وبالمثل تدني التمثيل المصري رغم تسديد العراق بشكل فوري أموال الحوالات الصفراء التي ينتظرها المصريون منذ عقدين ،وتدني تمثيل الجزائر يدفع هو الآخر للتساؤل عن هذا البرود في العلاقات العراقية الجزائرية.

في الجانب العراقي، الحكومة نجحت في تأمين القمة وإن جاء ذلك عبر حبس ملايين المواطنين في بيوتهم ومناطقهم وتركهم بلا اتصالات هاتفية ولا انترنيت ،والشيء بالشيء يذكر فإن المصريين أصروا على اعتبار قطع مبارك شبكة الهواتف والانترنيت جريمة يجب محاسبته عليها. لقد تم تأمين القمة بثمن باهظ يجعلها قمة غير طبيعية (بمعنى أنها مشوهة) وهو ثمن يدعو إلى التفكير ألف مرة قبل عقد أي ملتقى على مستوى عال مستقبلا فيما لو أخذ بالحسبان راحة المواطن العراقي ومصلحة العراق وخاصة الاقتصادية،فمن غير المعقول أن نضحي بهذا الكم الهائل من الأموال والاستعدادات الأمنية لعقد لقاءات غير ذات جدوى من الناحية الفعلية.

لقد عقدت القمة، هذا مريح ومربح لعدد من المسؤولين العراقيين الذين حصلوا على صور تذكارية وأفلام توثق حضورهم الميمون إلى جوار من يمكن اعتبارهم الزعماء العرب من باب المجاملة وهي تذكارات ستستخدم في كل معركة سياسية داخلية تخوضها الأطراف العراقية ،وهناك من سيرفع شعارا للنصر بـ(العودة إلى الحضن العربي) رغم أن هذا الحضن محشو بالمشاكل والألغام، وعلى المسؤولين العراقيين أن يكتفوا بهذا وألا يسمحوا "للحبربشية من ماسحي الأكتاف والمنتفعين بالمقاولات" بالنفخ في القضية لاستخدامها في التغطية على حالات الفشل المزمنة في الخدمات والأمن والاقتصاد والعلاقات الخارجية وألا يتم استخدام بضع ساعات هي عمر القمة في التغطية على سنوات من الفشل دفعت إلى تغييب سكان العاصمة للتخلص منهم حتى لا يخدشوا "المنظر الجميل".